

نجيب الحداد

تارات العرب



مكتبة علي بن صالح الرقمية

نجيب الحداد



ثارات العرب

عمل مسرحي، أدبي، تاريخي

مسرح

1904



كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

أسماء الأشخاص

أبو قابوس المنذر: ملك العرب.

سلمان: أخوه.

ليلى: خطيبة حماد.

حسان: عاشق ليلي.

شمطاء: عجوز.

فقير: الملك متتكر.

عامر، حماد، سالم، قراد، قيس، ناقد، زياد: أمراء.

هلال، زيدان، فاضل، عمران، فاتك: أسرى.

جنود وحرس وأسرى وضباط.

● المكان: الواقعة حدثت في بلاد العرب.

الفصل الأول

الجزء الأول

شمطاء:

هنا أمراء القصر في اللهو والطرب
هنا رنة الألمان والأنس والصفاء
هنا الجد يأوي بابنه وكلاهما
يكران طرف الذكر في نوب مضت
أميران قد عزّا على كل مالك
بحصن سما عن كل حصنٍ ومعقلٍ
ومن حوله أبطال حرب أعزة
رجال لهم في كل جسم صحيفة
ويحمون هذا الحصن من كل طارق
دخلت إلى هذا المكان ذليلة
أجر قيود الذل فيه وطالما
ولكن رويدًا ساكني القصر إنني

وهذي أسارى القوم في الشغل والتعب
وهذا رنين القيد والظلم والغضب
يعدّان ما قد أسلفاه من الحقب
وهيهات يغني الذكر والعمر قد ذهب
وعبدٍ فكأننا الرأس والعالم الذنب
فكاد يفوت النسر أو يلحق الشهب
يرون عذاب الموت أحلى من الضرب
يخطون فيها بالرماح وبالقُصْب
عدو فلم يدخل إليه سوى الطرب
عجوزًا تولتني المصائب والنوب
جررت نيول العز زينها الذهب
رسول البلايا والنوائب والعطب

الجزء الثاني

(هلال - زيدان - فاضل - عمران - فاتك - ثم جندي)

هلال: هذه ساعة الراحة والحمد لله ... حقًا لقد تعبتُ.

زيدان: لقد كنت حرًا غنيًا، أما الآن ...

فاضل: وا أسفاه.

زيدان: أريد أن أعرف ماذا تصنع هذه العجوز هنا.

فاضل: جلّ ما أعلمه من أمرها أنهم أخذوها مسبية في الشهر الماضي مع بعض التجار، وجاءوا بها إلى هذا الحصن.

عمران: لماذا يقيدوننا نحن، ويتركونها حرة تذهب حيث تشاء.

فاضل: ذلك لأنها شفت حفيد الأمير الكبير من حمى قتالة، وقد شفت أيضًا أحد الأمراء من لدغة أفعى.

زيدان: أظن أن هذه العجوز سحارة، فإنها لم تشف هذين الأميرين فقط بل شفت الثلاثة البرص؛ الذين كانوا هنا فأصبحوا لها من أطوع الخدم، وظني أنها امرأة خبيثة ذات مقاصد هائلة، فهي لا تأوي إلا الكهوف أو المقابر، وتوقد فيها النار وتصنع عليها أدوية وعقاقير لا أعلم كيفية تركيبها. وقد رأيتها مرة ماشية مع رجالها الثلاثة في جانب الحصن، وإذا بها قد اختفت معهم فجأة كأنها شقت الجدار ودخلت فيه.

فاتك: يا ليتها بدلًا من أن تشفي حمادًا الخبيث وغيره شفت ليلي خطيبة حماد وابنة أخت الشيخ سلمان جده.

زيدان: حقًا؛ إن هذه الفتاة ملك في صورة إنسان.

فاتك: ولكنها ناحلة ذابلة تخطو كل يوم خطوة في سبيل القبر، ولا شك أن خطبتها لهذا الوحش الضاري حماد هي السبب الأكبر في سقمها وانتحاليها.

فاضل: هذه العجوز قد عادت حقًا، إنَّ منظرها يرعبني، فلعنة الله على هذا الحصن كم فيه من أهوال.

زيدان: اسكت ولا ترفع صوتك لئلا نسمعنا أحد.

فاضل: لا تخف، فإن أمراءنا في وليمتهم، وهم بعيدون عنا.

زيدان: ولكن الاثنين هنا.

فاضل: وأي اثنين.

زيدان: الشيخ الأكبر سلمان وابنه، فإن هذا الباب لا يدخله غيرهما وغير ليلي والفتى الضابط حسان الذي قدم إلى هذا الحصن في العام الماضي، وخدم بين رجاله ونال محبة سلمان الجد الأكبر بشبابه ومحاسن أخلاقه، أما الجد فيقضي غالب أوقاته في هذه الحجرة العميقة، وإلى جانبه ابنه

الأكبر عامر يحمل رمحه، ويقضيان معًا ساعات طويلة لا ينطقان فيها بحرف. ويقال: إن هذا الشيخ العاجز يندب ذنوبًا له سلفت، وقد ثقلت جرائمها عليه، ويبيكي ولدًا له صغيرًا خطف منه منذ عشرين عامًا، ولا يدري من كان خاطفه ويبلغني أن أولاده الأندباء من أشد مصائب الدهر عليه، وأظنه لم يلقب بالشريد عن عبث.

فاضل: وهل تعرف شيئًا عن أمر هذا الحصن.

زيدان: جل ما أعرفه من أمره أنه قد جرت فيه جريمة هائلة، ثم أخلاه صاحبه من بعدها وهجره عشرين سنة لا يأوي إليه، ثم عاد إليه بعد ذلك، وهو على ما تراه من الحزن والهم.

فاتك: وهل لاحظت في هذه الغرفة فوق مجرى النهر شباكًا من حديد مكسورًا.

زيدان: نعم، وهذا الذي يسمونه المظلم، ويقال: إنه مكان تسكنه الجن، وإن دم الجريمة قد جرى على جدرانها قديمًا، وأصبح اليوم لا يدخله إنسان غير الذين ذكرتهم لك، وذلك من عشرين سنة تقريبًا إلى حين قُتل الملك الكبير أبو قابوس النعمان بن ماء السماء في حرب العجم.

عمران: أما أنا فالذي أعلمه أن هذا الملك لم يمت، وقيل لي: إنه لا يزال حيًّا وأن منجمًا أخبر الناس بأن هذا الملك سيثيب خبر وفاته، ثم يعود فيظهر مرة أخرى.

فاضل: هذه خرافة لا أصدقها، فقد حضرت الحرب التي قتل فيها ورأيت النهر يحمله بجواده، وقد حالت بيننا وبين إنقاذه كثرة الأعداء.

عمران: صدقت، ولكن ذلك لا يمنع من نجاته، وأن يعود إلى بلاد العرب، فيصلح أمورها بعد هذا الدمار العظيم، فإنهم قد بحثوا عن جثته كثيرًا فلم يجدوا لها أثرًا.

زيدان: ألا تُسمعون لي هذه الحكاية.

عمران: تكلم.

زيدان: أذكر من نحو ثلاثين سنة أنني وجدت رجلًا في بعض أحياء العرب يدعى سليمان، يزعم أنه كان خادمًا عند الأمير غسان والد الملك أبي قابوس المنذر، وقد حكى لنا أن الأمير لما ولد له هذا الولد خاف عليه من كثرة الأحزاب حوله، فأرسله إلى ولد له آخر كان يسكن في حصن حصين على هذه الجبال، وسأله أن يربيه ويعتني بأمره وأنه أخوه فليحرص عليه ما استطاع، فأقام هذا الولد الذي صار ملك العرب إلى أن بلغ العشرين من عمره في ذلك الحصن، فوجدوا الفتى وخادمه جريحين وهما على شفا الموت، فأخذوهما واجتهدوا في علاجهما حتى شفيا فعاد الخادم، وهو الذي

حدثني بهذه الحكاية إلى مولاه، ومعه ابنه الذي صار ملكًا بعد ذلك وظني أن أخاه قد مات، ولم يعرف أن أخاه القتل قد صار ملكًا، ويقال: إنه هو الذي قتله؛ لأنهما كانا يعشقان امرأة واحدة، وأنه بعد أن قتله مع خادمه وطرحهما من نافذة الحصن عمد إلى معشوقته، فقيدها وباعها رقيقة لبعض التجار، ولم يعلم أحد كيف كان مصيرها بعد ذلك.

عمران: وماذا تستنتج من هذه القصة؟

زيدان: أستنتج منها أن ما شاع من عودة أبي قابوس المنذر صحيح، وأن هذا الرجل لم يمت بعد، وإن خفي أمره على الناس، ويقال أيضًا: إنه كان يدعى زيادًا عندما قتله أخوه، وأن أخاه كان يدعى غصوبًا، وأن تلك المعشوقة كانت عبسية. أما القاتل فقد خرج من الحصن بعد هذه الجريمة كما قلت لك، وأما الفتاة فقد بحث عنها الملك المنذر كثيرًا فلم يجدها، وأعرف من ثقة أنه بحث عنها في جميع هذه الحصون وقدم بجيشه، وقد كنت معه فحاصر هذا الحصن حصارًا شديدًا، وأقام يقاتل حوله قتال الأبطال إلى أن التقى بصاحبه في المعركة، وكان في يد خصمه حديدة محماة، فكوى بها الملك في زنده ومرق من الجيش بسرعة جواده، ولم يقدر أحد على معرفته؛ لأن وجهه كان مقنعا بالحديد، والله أعلم إذا كان الملك لا يزال حيًا كما يقولون، أم أحاديثهم عنه خرافات وأساطير.

جندي (يدخل): انهضوا أيها العبيد إلى أشغالكم، فقد جاء وقت العمل، وإن مولاي حمادًا وضيوفه سيزورون هذا المكان، فلا يحسن أن يروكم هنا.

الجزء الثالث

(حسان - ليلي - هند)

حسان: تعالي استندي عليّ وسيري برفق ... اجلسي على هذا الكرسي قليلاً ... كيف حالك اليوم؟

ليلي: على أسوأ حال، فإن البرد يقرصني وأعضائي ترتجف ضعفاً، إن هذه الوليمة قد أزعجتني كثيراً ... (لهند) انظري ألا يأتينا أحد.

حسان: لا تخافي، فإن أصحابنا يشربون إلى الصباح، ولكن لماذا ذهبت إلى تلك الوليمة لتؤثر على جسمك الضعيف تلك الأغاني والكؤوس.

ليلي: إن حمادًا قد حكم عليّ.

حسان: حمادًا...؟

ليلي: اخفض صوتك، فإنه لا يبعد أن يسمعا ألا تدري أنني خطيبته، وله عليّ الأمر والنهي.

حسان: نعم، ولكن كان ينبغي أن تشكي أمرك إلى الشيخ الكبير مولانا، فإن حماذاً يخاف منه.

ليلي: وما الفائدة من ذلك، وأنا سائرة في طريق القبر؟

حسان: ليلي، بالله ما هذا الكلام.

ليلي:

هذي حياة النسا في العالم الفاني

حزنٌ وهمٌ يليه الموت عن عجل

حسان:

.....

أما ترين بهاء الشمس غاربةً

ليلي:

نعم وقد مرَّ عنها شهر نيسان
رمت بأوراقها من فوق أغصانٍ
كأنه مقلّة من غير إنسانٍ

.....

وصارت الأرض في فصل الخريف، وقد
وأصبح البرّ قفراً لا أنيس به

حسان:

كانت وتكسو الروابي حسن ألوان

لكن سترجع أوراق الغصون كما

ليلي:

تسير عنا إلى أهلٍ وأوطانٍ
فتأنس الأرض تغريداً بالأحان

نعم وهذي جماعات الطيور غدت
حيث الحرارة تحييها وتنعشها

حسان:

إلى هنا شأنها قبلاً إلى الآن

نعم ولكنها لا بدّ راجعة

ليلي:

أو أبصر الزهر يزهو بين أفنانٍ
لعودها وعذاب البين أفناني

نعم، ولكن أنا هيهات أبصرها
فإن عمري قصير لا انتظار به

حسان:

أجرى الدموع وأذكاني بنيرانٍ

حبيبة القلب ما هذا الكلام فقد

ليلي:

وارمي لهذي الأسارى كل همياني
كأنها وجه صبّ بئس عاني
قد كللت هامة الدنيا بتيجانٍ
كأنه أدمع في خد ولهانٍ
كل الحياة بها والكل ينساني
يومًا ولا أمّ تسليني وترعاني
لذلك أصبح صرف الموت يلقاني

ضعني قريبًا من الشباك خذ بيدي
ما أجمل الشمس ما أبهى أشعتها
تلقي أشعتها حمراء فنحسبها
ويلمع النهر من أنوارها فيرى
ما أحسن الأرض في عيني وأجلها
يتيمّة لا أبّ يحنو على سقمي
وحيدة لست ألقى في الورى سنًا

حسان:

وها أنا في الورى من بعدك الثاني
.....

لا تكفري لا تقولي أنت واحدة
إني أحبك يا روعي ويا ألمي

ليلي:

هيهات لم تك يا حسان تهواني
أمضي فتسلو غرامي بعد أزمانٍ

.....
هذا رسول مماتي قد دنا وأنا

حسان:

حب الصحيح وهذا جل إيماني
فطرت قلبي، وقد هيجت أحزاني
من أهله مؤمنًا ما بين أوثانٍ
الدين في عرفهم والكفر سيان

إن مت متٌ بلا شك وأقسم بال—
أترعمين بأني لا أحبك قد
دخلت ذا الحصن من عام فكنت به
أرى الجميع لصوصًا لا ذمام لهم

كانوا ظلامًا على عيني يخالفهم
حتى بدت شمس حسن منك مشرقةً
وأصبح القلب رهناً في يديك ولا
إذ قد عشقت فتاة في إمارتها
مع أنني رجلٌ لا أصل يرفعني
ولست أعرف من نفسي سوى همم
وإن لي صارماً يغني عن النسب الـ
فقد يكون أبي لا أصل ينسبه
لكنني كيف كانت رتبتي فأنا
إن كان في القصر من أهوى فأنت به
هذا المسن الذي يقضي ليالیه
وكل أبنائه عارٌ ومنقصَةٌ
وليس غيرك يسليه فأنت له

طبعي وينفر منهم طيب وجداني
شعاعها من جمال فيك فتانٍ
تؤاخذيني، فإن الحب ألاجاني
خطيبةً لأمير باذخ الشانِ
وليس لي والدٌ في المجد رباني
تسمو بنفسي إلى أطباق كيوانٍ
قاصي وأنثى منه مجدي الداني
وقد يكون مليكاً رب سلطانٍ
رهين حبك يا روعي وريحاني
قبلاً وبعذك ذاك العاجز الفاني
هنا ويكي عليها بالدم القاني
بل كلهم ثعلبٌ في زي ثعبانٍ
كبارد الماء يروي غل ظمانٍ

أما أنا الجندي التائه المجهول، فإني أشعر أن نفسي صارت كبيرة بقرب ذلك الشيخ الجليل،
وصارت نقية طاهرة بقربك، ولكنني مع ذلك غيور تلذعني الغيرة في صميم فؤادي، فأبكي
وأسكت، ولقد رأيت خطيبك من ساعة ينظر إليك نظر العاشق المغرم، فكدت أجن من الغيرة، بل
كدت أهجم عليه فأحطمه تحطيمًا، ولكنني راعيت الظروف مكرهاً وصبرت، أتزعمين بعد ذلك
أنني لا أحبك:

أنت روعي أنت النعيم لقلبي
لك قلبي لك الحشا لك ما تر

أنت شمس وأنت بدر سمائي
جوه نفسي من غبطة وهناء

ولكن عفواً إذا كلمتك عن نفسي في حين ينبغي أن لا أذكر لك سواك.

ليلي: إن حظي مثل حظك أيها الحبيب كله تعاسة وشقاء، فإنني قد عشت يتيمة وأنت قد عشت
كذلك وكنا كلانا على السواء، ولقد كان الدهر يقدر أن يجمع بين شقائي وشقائك، فيكون لنا منهما
تمام الهناء، ولكن ...

حسان:

ولكن أنا أهواك يا طلعة البدر
وحق الذي في جفن عينيك من سحر

ولكن أنا المصنئ أنا العاشق الشجي أنا المغرم الموصول عمرك في عمري

ولكن أنا أقتل خطيبك إذا أساء إليك، وأنا وحدي أقوم لك مقام أبويك، أما أبوك فأنوب عنه بسيفي وزندي، وأما أمك فأنوب عنها بحنوي ووجدي.

ليلي: شكرًا لك أيها الحبيب فقد أظهرت لي خفايا فؤادك، فعلمت أنك أشد بأسًا من الجابرة، وأرق فؤادًا من النساء، تلك هي صفاتك الحسنة التي أحببتك لأجلها، ولكن هيهات أن تقدر في سبيلي على شيء.

حسان: نعم أقدر.

ليلي: لا، لا تقدر على شيء، فإن الأمر لا يتعلق بإنقاذي من خطيبي، بل إن لي خطيبًا آخر سيأخذني بلا دفاع ولا امتناع لا تقدر عليه أنت بعزمك، ولا يرق فؤاده لجمالك وغرامك؛ لأن هذا الخطيب قوي قادر، وهو الموت. والآن إذ قد دنت أيامي من الفناء، فأنا أقسم قلبي قسمين قسمًا أقدمه لك وقسمًا أبسطه تحت عرش الله:

عني إلهي فارضَ عني واعذر
مني فؤادي، فهو جود المقصر

فأموت راضية عليك، وقد رضي
فليأخذ الله العلي نفسي وخذ

هند: إني أسمع وقع أقدام.

ليلي: إذن فهلمي بنا.

ويلاه ما أفسى الممات وأرهبها
أهوى ولست أنال منه مآربا
قلبي فلم يكُ في غرامك مذنبا
تهوى وكن بخلص نفسي لي أبًا
.....

أموت في سن الشبيبة والصبأ
أموت عاشقة وأفقد كل ما
إن الممات يخيفني فأشفق على
أحبيب قلبي خلص القلب الذي
أتراك تقدر أن تخلصني ...

حسان:

لا بدَّ أن تحيي فعودي للخبا
حلوة يفتن الجماد بهاك
—عنى بشيء إذن أخون هواك

..... نعم
أتموتين هكذا في صباك
وأنا واقفٌ أراك ولا أس—

لا تموتين، إن كل دمائي
سوف تحيين لي وأقسم بالله
فدية دون نقطة من دماك
.....

الجزء الرابع (حسان - شمطاء)

حسان:

.....
أنا في حاجة إلى حسن مسعا
لقد جنّيت في أوان لقاك
ك، وفي حاجة إلى أن أراك

شمطاء: ابعده عني وسر في طريقك.

حسان: اسمعي لي كلمتين.

شمطاء: أتريد أن تسألني أيضًا عن بلادك وعن قومك؟ إنني لا أعرف شيئًا، وأن تسألني لماذا ربيتك وحيدًا، وإنني وجدتك طفلًا لقيطًا وربيتك عندي؟ إنني لا أعرف أيضًا، ولماذا أتيت بك إلى هذا الحصن، وقلت لك: تظاهر بأنك لا تعرفني؟ إنني لا أعرف أيضًا، ولماذا أنا مقيدة أسيرة ولماذا أبقيت القيد في رجلي؟ إنني لا أعرف أيضًا. أتريد أن تسألني ما هو اسمي، ومن هم قومي، وما هي عشيرتي، وأين بلادي؟ إنني لا أعرف أيضًا، فاكشف أمرى إذا شئت، وسلمني لهؤلاء الظالمين، ولكن لا تسألني عن شيء، ولا تؤمل أن أجيبك بشيء.

حسان: قفي لا أسألك عن شيء من ذلك، وليس الأمر متعلقًا بنفسى، فأنا أسألك عن ليلى.

شمطاء: إنها ستموت قريبًا.

حسان: أتقدرين أن تشفيها.

شمطاء: وماذا يهمني من شفائها؟ نعم إن في هذا الصدر لعلمًا عظيمًا وحكمة واسعة، فلقد قضيت أكثر أيامى في الهند والصين، وتعلمت الطب وتركيب الأدوية وصنع السموم، وجميع العلاج حتى صرت أقدر بدواء واحد أن أجعل المائت حيًا وبدواء واحد أن أجعل على وجه الحي هيئة الأموات.

حسان: أتقدرين أن تشفيها؟ تكلمي بالله.

شمطاء: نعم أقدر.

حسان: إذن استحلفك بالله العلي القادر، وأركع على قدميك ملتصمًا ضارعًا أن تخلصيها وتشفيها.

شمطاء: افرض أنك بينما كنت هنا الآن تغازل ليلى التي تهواها دخل عليك حماد خطيبها، وهو هائج من الغيرة والغضب وطعنها بخنجر في صدرها ورماها في هذا النهر الكبير، ثم أخذك بيدك وباعك في السوق بيع العبيد ليرموك بالخسف والعذاب، ثم تعذبت كثيرًا وعدت إلى هذا المكان ماذا يبقى في قلبك، وأي شيء يجول في فؤادك؟

حسان: الانتقام والقتل وأخذ الثار.

شمطاء: إذن، فأعلم أنني أنا الانتقام والقتل وأخذ الثار، أنا الظامئة إلى شرب الدماء وأخذ نفوس الغادرين، أطلب مني الآن أن أكون شفيقة، وأن أكون فاضلة، وأن أشفي الأحياء؟ هيهات، إن ذلك أمر قد فات ... أتقول: إنك محتاج إليّ؟ أتقول: إنك تريد إسعافي؟ وإذا أنا أرجفت فؤادك رعبًا، وقلت لك: إنني أيضًا محتاجة إليك، وإنني أريد إسعافك، وإنني قد ربيتك لأنتقم على يدك، فماذا تقول وماذا تصنع ...؟ اذهب أيها الصبي، وابتعد عني، فإنني كلي غضب وانتقام، إن الذي حكيتك لك الآن هو تاريخي بعينه، ولكن الذي قتلوه هو العاشق، والتي باعوها جارية هي المعشوقة، وهي أنا والقائل لا يزال حيًّا يرزق ولا منتقم منه سواك، أنت الذي تأخذ ثأري وتنتقم لي مما لاقيته من عذاب شديد كل هذه السنين الطوال.

حسان: ويلاه، ما هذا الخبر الفظيع.

شمطاء: إنني تعذبت كثيرًا وخدمت ستين عامًا، وزرت مصر والهند والعراق، ودرست الطبيعة والعوالم والأكوان، وتقلبت عليّ ألوان العذاب والذل والهوان، أما الآن فقد انتهى كل شيء ولم يبق في صدري قلب إنسان، بل أنا أضع يدي هنا، فلا أشعر بحركة ولا خفقان؛ ذلك لأنني أصبحت صخرًا قاسيًا لا يحن ولا يلين.

حسان: لله، ما أتعس حظك.

شمطاء: ولقد أتيت إلى هذا الحصن من الشهر الماضي، والانتقام يلتهب في قلبي التهابًا، حتى وصلت إلى عدوي، وجعلته في قبضة يدي وجعلت حياته موقوفة على لفظة من ألفاظي إذا لفظتها سقط قتيلًا، وأنت أنت وحدك تقدر أن تتيلني الانتقام كما أريد، ولكني مع ذلك أخاف من هذه الجريمة، ومع كل قساوتي وشراستي أشفق عليك، وأخاف على حياتك في مثل هذا الانتقام الشديد. اذهب بالله عني؛ ولا تجربني لأنك إذا طلبت مني شيئًا فيه حياة حبيبك، فأنا سأطلب منك شيئًا فيه

هلاك عدوي، ولكن إذا بقيت على عزمك أفتجرد خنجرك من غمده؟ أترضى أن تكون قاتلاً؟ أترى أن تكون سيفاً؟ أراك ترتجف منذ الآن، إذن فاذهب عني يا قلباً ضعيفاً ويداً ساقطة، اذهب ولا تكلمني ودعني في شأني.

حسان: وأي شيء تطلبين مني إذا شفيت من أحب؟

شمطاء: لا تدنس يدك بالجريمة، واذهب عني.

حسان: اعلمي أنني أسفك دمي في سبيل خلاصها، فاطلبي وتكلمي.

شمطاء: اذهب عني.

حسان: أرتكب جريمة إذا شئت أرضيت الآن...؟

شمطاء: ويلاه، لا يزال يجربني، إذن سأقضي مرامي ... أتعلم أنك ستصبح ملك يدي، وأنت لا يفيدك تضرع ولا التماس، وأن كل ذلك يضيع في أعماق قلبي المظلم، وإنني تمثال أصم لا رحمة عندي ولا شفقة إلا إذا رأيت حبيبي المقتول قد عاد حياً أمامي، وهو الأمير زياد الذي كنت أهواه؟ والآن فاسمع ما أقول لك، فإني أنبهك إلى عاقبة أمرك قبل أن تبدأ بالعمل الذي أريد، إنني أريد منك أن تقتل رجلاً هنا كما يقتل الجلاد الرجل المجرم كائناً من كان ذلك الشقي في أية ساعة أردت بلا رحمة ولا شفقة، أسمعت؟

حسان: نعم، ثم ماذا؟

شمطاء: اعلم أن كل دقيقة تمر علينا تسوق حبيبتك إلى القبر، وأنا وحدي أشفيها ولا يقدر أحد على إنقاذها غيري، انظر هذه الزجاجاة تشرب منها نقطة في كل ساعة، وأنا أضمن لك أنها تعيش.

حسان: يا ربي أحق ما تقولين، أعطيني هذه الزجاجاة بالله.

شمطاء: اسمع قبلاً، إذا رأيت حبيبتك غداً سليمة متعافية، وقد زال عنها كل ألم وعاد لها رونق الشباب بفضل هذا الشراب، فأنت تصبح ملك يدي أتصرف بك كما قلت لك.

حسان: نعم.

شمطاء: أقسم لي.

حسان: أقسم بالله العلي العظيم.

شمطاء: ومع ذلك، فإن حبيبتك ليلي ستكون رهناً في يدي عنك، وهي التي يقضى عليها إذا أخلفت وعذك لي وأنت تعلم أنه لا يصعب عليّ شيء، وأنني أعرف كل هذا الحصن بجميع خفاياه، وأدخل منه في كل مكان وفي كل آن.

حسان: أتقولين أنها تشفى؟

شمطاء: نعم، ولكن اذكر أنك حلفت.

حسان: أتتقدينها من الموت؟

شمطاء: نعم، ولكن اعلم أنني عندما أعطيك هذه الزجاجاة آخذ منك قلبك، وتكون رهن يدي.

حسان: إذن فهاتي وخذي.

شمطاء: (تعطيه الزجاجاة) إلى الغد (تخرج).

حسان: إلى الغد:

وكذاك بين يديك كل حياتي
لا ترجفي قلبي ففيه مماتي
متندماً والجود من عاداتي
فإذا شفيتِ شفيتُ من علاتي
فأنا سأشرب بالشفاء كاساتي

هذي حياتك يا حياتي في يدي
فخذي حياتك من يدي لكنما
إنني اشتريت لك الشفاء، ولم أكن
هذا الدواء لنا كلانا بالسوا
وإذا الحبيب شُفي بشرب دوائه

الفصل الثاني

الجزء الأول

(أبو قابوس - اثنان من أتباعه)

أبو قابوس:

قد وصلنا هنا مكان الجريمة
وهنا تُغفر الذنوب ولا يخـ
صنت نفسي بالنسك عشرين عامًا
وقضيت الأعوام بحسبني النا
غير أنني سمعت صوت بلادي
فتركت النفار عنها وأقبلـ
وبعزمي إنقاذها من بلايا
فإذا ما حييت تحيا، وإن متُّ
فاكتموا ما نويت، فالمرء لا
لا تقولوا: إني مليك وقولوا
فعساني أرى أخي وأنجي
رام قتلي فيما مضى وأنا اليو
وهنا تظهر الذنوب العظيمة
فر ذنبًا إلا النفوس الكريمة
وتركت البلاد مني يتيمه
س قتيلاً بين العظام الرميته
تشتكي الذل والرزايا الأليمة
ت إليها بنيةً مستقيمه
ها وأحكام قومها المذمومه
فموت الذليل أشهى غنيمه
ينجيه إلا أعماله المكتومه
رب فقر في غربة مستديمه
وطني والعقبى تكون سليمه
م سأعفو عنه وأمحو الجريمة

الأول: مولاي، أنتكون الملك العظيم أبا قابوس سيد العرب، وتعود إلى ملكك بمثل هذه الملابس، وعلى هذا الحال.

أبو قابوس: هكذا تقتضي الحكمة، فإما أن أنقذ بلادي وأنا على هذه الصفة، وإما أن أموت فقيرًا كما أنا الآن، فلا يعرفني سواكم أحد.

الثاني: ولكن يا مولاي، أين كنت كل هذه المدة؟ وما الذي تقصده من هذا المكان؟

أبو قابوس: لقد عشت في القفار والجبال عشرين عامًا بحسبني فيها الناس مائتًا، واستبد الحكام في

الأمر والأحكام وأنا أحسب أنني أكفر عن ذنوبي، وأمحو ما لعله فرط من الآثام. أما الآن فقد رأيت بلادي في ربة الظلم والضيق، ولا ينقذها سواي وعلمت أن أخي الذي ظن أنه قتلني لا يزال حيًا، وهو من أقوى الأمراء، فأتيت لكي أراه فأغفر له ذنبه في قلتي وأبشره بأنني لا أزال حيًا، ثم أستعين به وبقومه على إنقاذ البلاد.

الثاني: وكيف قتلك أخوك يا مولاي.

أبو قابوس: كنت عنده في قصره هذا أيام شبابي، فعشقت فتاة جميلة وعشقها معي ثم رأنا كلينا في خلوة غرام، فغار غيرة شديدة، وضربني بخنجره وألقاني من النافذة إلى النهر، فالتقطني بعض الرعاة وأنقذوني من الموت، وهو يحسب أنني في عداد الأموات.

الأول: ولما صرت ملك العرب، ألم يعرف ذلك؟

أبو قابوس: لقد كنت عنده أذعى زيادًا حينما ضربني وألقاني في النهر، ولما ملكت العرب ببأسي وقوتي لقبوني أبا قابوس، فأخفى هذا اللقب الجديد ذلك الاسم القديم، ولم يعرف أخي أن أخاه القاتل لا يزال حيًا.

الثاني: ولما صرت ملكًا، ألم تسع في طلبه؟

أبو قابوس: لقد جننت بجندي فحصرت حصنه هذا، وحاربني وهو لا يعرفني فلم أقدر على أخذه، بل كواني في زندي بحديدة محماة وجمح بي جوادي، فألقاني في النهر، وانكسر العسكر بعدي، وهم يحسبون أنني قُتلت، أما أنا فكنت قد نجوت بنفسني من النهر، وذهبت فتنسكت في القفار، واعتزلت الملك والحروب حتى ظنوني ميتًا، وهذه هي أسرار أخي بي إلى الآن.

الأول: وهل تريد أن تخبر أخاك الآن أنك أخوه؟

أبو قابوس: سأرى كيف تكون ظروف الأحوال، أما قصدي الأول فهو إنقاذ البلاد من دمارها كما قلت لكما، وهو الأمر المهم الذي أتيت لأجله.

الأول: والآن، فماذا يأمر مولاي الملك أن نفعل؟

أبو قابوس: أريد أن تبقى هنا في انتظاري، وأنا ذاهب إلى الحصن وحدي، وسأفعل هناك أفعالًا عجيبة يرويها التاريخ عني، فإذا نجحت في قصدي دعوت بكما إليّ، وإذا لم أنجح وقتلوني فارجعا عن هذه البلاد، ولا تخبرا أحدًا بأمرني:

ناس طرّاً من كاشح وصدیق
وادعوا لي بالفتح والتوفیق

اذهبا الآن واخفيا عن عيون الـ
واكتما عنهم جميع حديثي

الجزء الثاني

(سالم - قراد - قيس - حماد - ناقد - عامر - زياد - حسان - سلمان - ثم ضابط)

سالم: انظر أيها الأمير، إن باب الحصن وطريقه يظهران من هنا.

قراد: ما هذا المكان الواسع المظلم؟

قيس: إن من يرى هذا الباب المظلم يقول: إنه مكان تسكنه الجن.

حماد: هنا يجلس جدي الكبير.

قيس: وحده.

حماد: لا، بل مع أبي.

قراد: لله درك، كيف قدرت أن تخلص من هذين الشيخين.

حماد: لقد ذهبت أيامهما واختلّ عقلهما كثيراً، وها قد مضى على جدي الآن أكثر من شهرين لا يتكلم، فانظر مفاعيل الشيب والهرم، فإن عمره يبلغ نحو المائة سنة، أما أنا فقد أخذت مكانهما بعد أن تخليا عنه.

ضابط (يدخل): مولاي.

حماد: ماذا تريد؟

ضابط: إن الأسير الهندي لم يدفع الفدية بعد.

حماد: اشنقوه.

ضابط: إن عرب الحدود قد جاءوا طائعين، وهم يطلبون الأمان.

حماد: انهبوا أموالهم فقد أخذنا أموالهم بسيوفنا.

ضابط: وماذا نصنع بجيرانهم.

حماد: انهبوهم أيضًا (يخرج الضابط).

ناقذ: إن شرابك جيد أيها الأمير.

حماد: هذا لا شك فيه، فإن لي ضريبة من الخمر كل سنة على قبيلة غسان.

قيس: وعلم الله أن خطيبتك ليلي لجميلة.

حماد: نعم، لا بأس بها فهي نسيبتنا من جهة الأم.

قيس: وكذا يظهر أنها مريضة.

حماد: ليس ذلك شيئًا يذكر.

الضابط (يدخل): علمت أن بعض التجار سيمرون من هنا غدًا.

حماد: استعدوا لقطع الطريق عليهم، لقد كان أبؤنا يقاتلون، أما نحن فنلهو الآن ونطرب، وقد كانوا يستعملون القوة، أما نحن فنستعمل الحيلة والخداع، وما أنكر أن الناس تشتمني، والتجار تلعن اسمي، والعرب تتعوذ من بأسني، ولكن كل ذلك لا يهمني ما دمت أضحك وأشرب، وما دام حصني منيعًا يرد عني غارة الأعداء، وما دامت خطيبتي جميلة تسر الناظرين، وعلى ذكر الخطيبة هل تزوجت بنت أمير اليمن؟

قيس: لا.

حماد: ولكنك وعدت أباهما، وأخذت منه مالًا.

قيس: نعم، وعدت وأخذت، ولكني أترك البنت لأبيها وأترك المال عندي.

حماد: ولكن ماذا يقول أبوها عنك؟

قيس: ليقبل ما شاء أن يقول.

حماد: وما تصنع بالوعد الذي وعدت؟

قيس: ذلك شأن لا يهم.

عامر:

عهدت الكريم إذا ما وعد
وكنا إذا ما عقدنا العهود
يراه الكريم لدى بابه
وتنفد أعمار أصحابه
تبارك ربي إلى أي حال
فضاعت مواعيد أبنائنا
وأضحى البغاة مكان النسور
وفي أو يخون قواه الجلد
تراها علينا كدرع الزرد
ويلقاه في حلمه إن رقد
وأكثر أو عادهم ما نفد
غدونا وأي زمانٍ فسد
وضاع الذمام وضاع الرشد
وقام الكلاب مقام الأسد

حماد: احذر يا أبي فأنت تهيننا، واذكر أن الملك أبا قابوس عاقب عمه مرة على إهانة أصغر من هذه، فلا تتركني أتبع هذا المثال.

عامر: يظهر لي أنني سمعت اسم أبي قابوس، فإياكم أن يلفظ أحدكم هذا الاسم أمامي بعد.

قيس: وبماذا ساءك هذا الملك أيها الشيخ؟

عامر: أتقول بماذا ساءني، انزل في هذه الهوة، وانظر كم فيها من قصور مهدمة بيد هذا الملك العاتي، انظر كم أذل من أبطالنا، وكم أسر من رجالنا، وكم سبى من نساءنا، وكم سفك من دماننا على أيدي جنوده الغادرين، أتقول بماذا ساءني؟ لقد استعبدنا ثلاثين عامًا يقتل أبناءنا، ويحرق منازلنا ويستعبد رؤساءنا، ويسجن أبطالنا، ويسومنا الذل والخسف ويضع في أيدينا قيود الحديد، ولا يلبث أمامه أحد، وأنا أذكر أنه نازلنا في إحدى المعارك، واقتحم وحده جيشًا كاملًا من جيوشنا، فلم يقدر أن يقف في سبيله واحد منا إلا أبي هذا، فإنه صادمه في طريقه وكوى زنده برمح من حديد، أما الآن فقد ذهب كل ذلك هباءً منثورًا، وبادت رجال الحرب جميعًا، ولم يبق من تلك الغابة العظيمة إلا شجرة واحدة؛ وهذه الشجرة هي أنت أيها الولد الكريم. أتقولون: أبو قابوس، ويلى لمن يذكر هذا الاسم الكريه، وويل لي إذا لم أنتقم منه إذا كان لا يزال حيًّا أو من أولاده إذا كان قد مات، وأنا أسأل الله قبل موتي أن يسهل لي هذا السبيل، ولو بأن اضرب هذا الملك ضربة واحدة في حياتي، ثم أموت بعدها مسرورًا، بل أكاد أقول: إنني لو كنت ميتًا في ترابي وتمثل لي أبو قابوس على قبري لنهضت إليه مسرعًا، ونفضت غبار الموت عني وطعنته طعنة واحدة بهذا الخنجر ... ويلاه ماذا أقول أنا الشيخ العاجز الفاني.

حماد: يظهر أن أبي قد خرف.

زياد: غدًا يصير أبي مثل أبيه وجده، وأخذ أنا مكانه.

حماد: إن كل جنودنا خاضعون لهذا الشيخ، فما هذا المصاب؟!

زياد: تعال يا أبي، وانظر إلى هذا الشيخ.

قراد: إنه يصعد بهدوء، وتلوح عليه علائم التعب.

ناقد: حتمًا إنه في تعب شديد.

سالم: نعم، ويظن أنه فقير، فإن عباةته ممزقة تنسفها الرياح.

زياد: أظن أنه يطلب الضيافة في القصر.

قيس: إنه فقير لا شك فيه.

قراد: بل أظنه جاسوسًا.

سالم: إذن فاطردوه من هنا.

حماد: اطردوا هذا الكلب في الحال، وارجموه بالأحجار.

زياد: اذهب من هنا يا كلب.

عامر: أعوذ بالله، أي عصر صرنا إليه وأي رجال أهل هذا الزمان؟ أيطردون الشيخ البائس المسكين برجم الأحجار، لقد كنا أيام الصبي والشباب مثلكم نسكر ونطرب كما تفعلون، ولكن إذا مرَّ بنا شيخ عاجز فقير، ونحن في السكر والطرب كنا ننهض في الحال، فنملأ كفه ذهبًا ونقربه قريبًا حسنًا، ونرد سلامه ردًّا جميلًا، ثم نعود إلى ما كنا عليه من اللهو والسرور، تلك كانت أحوالنا من قبل فقيسوا عليها أحوالكم الآن.

سلمان: اسكت أيها الشاب تلك كانت أحوالكم، أفتعرف كيف كانت أحوالنا؟ كنا نجلس على طعامنا وشرابنا وأماننا بغير بأسره في قصعة واحدة نأكل منه ونشرب عليه، وإذا مر بنا الشيخ الفقير المسكين، أفتعرف ماذا كنا نصنع له؟ كنا نرسل طليعة من الجند لاستقباله، ثم نضرب الطبول عند دخوله ثم ننهض كلنا إلى ملاقاته، ولو كان في مجلسنا أبناء الملوك، ويتقدم الكبير منا إلى ذلك الفقير، ويمدُّ إليه يده وهو يقول: يا مرحبًا بالضيف ... اذهب وقل للفقير ليأت.

حماد: ولكن يا مولاي ...

سلمان: اسكت.

قيس: مولاي إنه ...

سلمان: لقد قلت: اسكتوا فمن يتجاسر أن يتكلم.

حسان:

أحسنت يا شيخ العشيرة في الذي
يا أيها الأسد الذي من حوله
أرفع زئيرك غاضباً كي يسكتوا
قد قلته وكذا يكون أبو الكرم
خبث الذئاب يلوح في خوف الغنم
إن الشباب يخاف من صوت الهرم

زياد: لقد أتى يا مولاي.

سلمان: قفوا جميعاً واصطفوا هنا حولي كما تفعلون في استقبال الملوك.

الجزء الثالث

(المذكورون - الفقير)

الجميع:

أهلاً بضيف زارنا
نحن الضيوف وأنت رب
في دار مولانا السعيد
الدار فافعل ما تريد

سلمان:

كن من تشاء فأنت ضي—
وانزل على الربع الرحي—
والآن فاسمع هل سمع—
شاد المفاخر كلها
وعدا على ريب الزما
لم يرهب الأهوال في—
سقطت جميع رجاله
وأقام ثابت دولة
بليت جميع رجاله
في أيها الشيخ الطريد
ب لديك والعيش الرغيد
ت بسيدٍ بطلٍ فريد
في حصنه العالي المشيد
ن بذلك البأس الشديد
ه ولم يخف منه الوعيد
من دونه مثل الحصيد
في ذروة المجد الوطيد
وزمانه غصُّ جديد

أعرفته من وصفه
يدعى بسلمان الشري—
طال الزمان به كما
أنا ذلك الرجل المشا
فابشر فإنك نازلٌ
وجميع حصني رهن أم—
أم أنت ترغب أن أزيد
—د، وكان يدعى بالعنيد
من قبل طال على لبيد
ر إليه في هذا القصيد
في دار سلمان الشريد
—رك فاقض فيه بما تريد

الفقير :

يا أيها الأمرا جمي—
اصغوا لما ألقى، فإنَّ
لا تحقروا الضيف الفقـي—
وتصدقوا بالخير إنَّ
وتقوا بأن الموت يأ
يعدو على الشيخ الكبي—
فليذكر الشبان منكم
وليندم الأشياخ إنَّ ال—
وحسابهم أدنى إلى ال—
وأعطوا الفقير، فإنما
وبه يدوم نعيمكم
ومصيرنا طرًّا لمن
—عًا والعساكر والعبيد
كلامي النصح المفيد
—ر إذا أتاكم من بعيد
الخير مفتاح المزيد
تي سابقًا خيل البريد
—ر ولا يعفُّ عن الوليد
في مشيبيهم العتيد
—موت منهم بالوصيد
أرواح من حبل الوريد
هذا هو الفخر الأكيد
ويزيده من يستزيد
في الحشر يفعل ما يريد

الجميع :

يا أيها الضيف الكريم
فاهناً بذأ الود السليم
فالخير من طبع الكرام
والشكر يسري في الأنام
قد فزت بالخير العميم
والأمن من شر اللئيم
والعرب ترعى للذمام
يبقى على طول الدوام

الفصل الثالث

الجزء الأول

الملك:

من لم يخاطر بالدماء لم يسلم
كم من أكفٍ قد رمتك بأسهم
فوجدت مجدك صار كالمتهدم
في كل نهرٍ فيك نهرًا من دم
فسقطت صاغرةً سقوط المجرم
أيدي سبا وبقيت كالميتيم
فيك العذاب وظالما لم يرحم
فيك الضعيف يموت إن لم يظلم
فسقطت جرحى لليدين وللنم
حتى رأيتك غنم من لم يغنم
فيضيع عندهم زئير الضيغم
ورمت بها ظلماً أكفُ الديلم
وبلاد نجد سبيّة المتقسم
أبكي عليه بحسرة المتندم
ولينفذ العرب التي لم تأثم

آن الأوان لأن أخاطر بالدم
أجزيرة العرب التي أحببتها
قد عدت نحوك بعد طول تغرّبي
لعبت أكفُ ذويك فيك فغادروا
قتلوا رجالك واستدلوا من بقي
وتفرقت أحياء أهلك في الورى
وتقسمت أبنائك مظلوماً يرى
وغدا نفوذك للقوي وقد غدا
باعوك بيع العبد في سوق الريا
سلبوا بلادك من يدك غنيمةً
والفرس حولك يزأرون بجمعهم
ضاعت حقوق العرب في أطلالهم
وغدا العراق مع الحجاز غنيمةً
هذا مصابك، وهو كل مصائب
فليرسل الله العلي جنوده

الجزء الثاني

(حسان - ثم ليلي)

حسان:

وشفي الحبيب من الضنى بشرابه

طاب الفؤاد وطابت البشرى به

تشفي ضنى قلبي بنيل طلابه
فشفت فؤادي من أليم عذابه

أبرأتها وأنا السقيم فليتها
أهلاً وسهلاً بالتي قد عوفيت

ليلي:

فليحي من صنع الدوا وأتى به
لزم الفؤاد وزاد في أوصابه
يهوى فؤادي في ربيع شبابه
جدّ الكبير إجابةً لخطابه
مع حاجبٍ قد جاء من حجابهِ

حسان إنني قد نجوتُ من الردى
وغدوت سالمةً من الداء الذي
واليوم أقدر أن أحبك مثلما
والآن فاسمح لي بأن أمضي إلى الـ
فلقد دعاني نحوه من مدّة

حسان:

أحيى فؤادينا بفضل ثوابه

لكن قفي كي نشكر الله الذي

الجزء الثالث

(حسان - شمطاء)

شمطاء: كيف حالك الآن هل أنت مسرور؟

حسان: هذا أنت.

شمطاء: رأيت أنني قد وفيت بوعدِي.

حسان: وأنا سأقوم بعهدي.

شمطاء: بلا رحمة.

حسان: ولا خوف ... وبعدها أقتل نفسي.

شمطاء: أنا في انتظارك هذا المساء عند منتصف الليل.

حسان: في أي مكان.

شمطاء: أمام السجن المظلم.

حسان: ذلك مكان مخيف لا يمر فيه إنسان، ويقال: إن على الصخر هناك لخرة سوداء.

شمطاء: نعم، وهي أثر الدماء التي سالت على ذلك الجدار.

حسان: أثر دماء ... أرأيت كيف يندس الدم ويحرق؟

شمطاء: بل قل إن الدم يغسل ويطهر.

حسان: حسنٌ فمري بما تشائين ... ومن أجد في ذلك المكان.

شمطاء: تجد رجلًا مقنعًا ينتظر وحده.

حسان: وبعد ذلك.

شمطاء: وبعد ذلك تتبعه إلى حيث يسير بك.

حسان: لقد قضي الأمر.

شمطاء:

أرض طرًّا، وأنت يا جو فاشهد
ر وقل للنجوم في الأفق تشهد
رت ويا عيشي الشقي المنكد
نًا حصينًا على الفساد تشيد
تل عدلًا بذا السلاح المحدد
وغصوبٌ عدو نفسي المؤكد

يا سماء اشهدي ويا كائنات الـ
واشهدي لي يا شمس، واشهد أيا بد
واشهدي لي أيا حياتي التي مر
واشهدي يا قبور واشهد أيا حصـ
اشهدي أنني أبيع دم القا
وبأني أبحت قتل غصوبٍ

حسان: من هذا غصوب.

شمطاء: هو الذي يجب أن يموت من يدك هذا المساء، اذكر ولا تنسَ وعدك (تخرج).

حسان:

من قبل أن أفضي وفاء وعودي
طمعًا بعيشٍ للحبيب رغيد
ودنت منية ذلك المنكود

ويلاه من جرم يكاد يميتني
إني وعدت بقتل نفس حيةٍ
والآن قد نال الحبيب شفاءه

الجزء الرابع

(حسان - سلمان - ليلى - شمطاء (مختفية))

ليلى: نعم لقد شفيت وصرت أقدر أن أجري ... انظر يا مولاي ها قد أتينا.

حسان: هذا أنت يا مولاي.

سلمان: لقد شعرت اليوم أن حزني قد ازداد، وأن النصيحة التي أبداها لنا الفقير قد أثرت في كثيرًا ثم فكرت في أمرك، وإنك كنت على شفا الموت، وأن أمك المسكينة قد أوصتني بك قبل موتها، كنت افكر في كل ذلك، وإذا بها دخلت عليّ فرحة مسرورة والحياة تجول في عينها حتى كدت أبكي من السرور، وأحسب أنني في حلم لا في يقظة، وقد دنت مني وقالت لي: تعال واشكر حسانًا، فهو الذي شفاني فقلت لها: هيا بنا.

ليلى: وها نحن بين يديك.

سلمان: ولكن أخبرني بأية أعجوبة شفيتها تكلم ولا تكتم عني شيئًا.

حسان: شفيتها بعلاج أعطتني إياه أسيرة من أسارى القصر.

سلمان: إن هذه الأسيرة حرة لوجه الله، وأنا أنعم عليها بألف ناقة، وأعفو عن المحكوم عليهم، وأعفي ألف فلاح من الضريبة، وذلك سرورًا بهذا الشفاء، افرحا معي فإن قلبي مملوء فرحًا، ويكفيني سعدًا أن أراكما:

أرى الناس من حولي كأنى مفرد	نعم أنا منكود طريد مشرد
وأذكر أيامي وربى يشهد	أقيم بأقصى الحصن أندب ما مضى
وكل ولاية الأمر أشأم أنكد	أرى العرب من حولي تمزق شملهم
فلا مهجة ترثي ولا يد تتجد	يسوقون هذي الأرض نحو دمارها
تمد من الله العلي لها يد	ولا بد أن نهوي مع الظالمين أو
فينجدها إن كان ينفع منجد	فيرسل من يرثي لها في مصابها
مصيبة أولادي الذين تمردوا	مصاب بلادي لي مصاب وفوقه
كما أن قلبي من ذنوبي أسود	لئام أرى عيشي بهم وهو أسود
فتاة فكل منهما لي مسعد	وما لي سلوى غير هذا الفتى وذى الـ
وهذا فتى من صفحة السيف أجود	فهذي الفتاة كالغزالة بهجة

إذا وقفا حولي تقول ملائكت تحن إلى الشيطان أو تتودد

حسان: مولاي ماذا تقول؟

ليلي: سيدي ما هذا الكلام؟

سلمان: تقدا إليّ كلاكما، اقتربا مني لأعانقكما، فيا لله ما أجمل هذه الطلعة الباهرة، حقًا، إنك شريف كريم ممن يفون بالوعد إذا وعدوا، كل ما يعد به هذا الفتى، فإنه يقوم بوفائه ... أليس كذلك؟

ليلي: لا تسألني يا سيدي، فإن حياتي من عنده.

سلمان: لقد كنت مثله طاهرًا شريفًا قبل أن أسقط في دنوبي وأثامي، انظري يا ليلي إلى هذا الوجه الجميل إنه يذكرني بولد لي يدعى سنانًا كان آخر أولادي رزقني الله إياه من عشرين عامًا، وأنا في شيخوختي فابتهجت به كما يبتهج الأعمى إذا نظر النور، وكما تزدهي الشجرة الذابلة بسقوط ندى الصباح، ولكن وا أسفاه، فإنه لم يكن يبلغ اثنتين من عمره حتى خطفوه مني، وهو يلعب على الطريق، ولا أدري من خطفه وقيل لي: إن خاطفيه قد قتلوه انتقامًا مني، فإياك إذا صرت أما أن تتركي أولادك يلعبون على الطريق بعيدًا عنك، فإن أعداء الإنسان كثيرون. ويلاه إني لا أزال أذكره، وأبكي كأنه خطف بالأمس، لو بقي حيًا كان الآن في سنك وكان جميلًا جريئًا مثلك. تعال إلى صدري فأنت مكانه عندي، وقد جعلتك ولدي فاجعلني بمثابة أبيك، تعال وكن ولدي أنت يا من كنت سلوتي وعزائي في هذا الحزن الذي أنا فيه، ويلاه من يقدر أن يراكما كليكما جميلين زاهرين متحابين، ولا يلين فؤاده فرحًا وسرورًا لهذا الحب بينكما، أبشرا أيها العاشقان فأنا سأجمع بينكما بعقد القران.

ليلي: يا رباه!

حسان: مولاي، ماذا تقول؟

سلمان: لقد ماتت أمك أختي، وهي توصيني بك وأنا أقسم لها بحفظ وصايتها، وما أنكر أن ولدي سنانًا قد خطف مني بعد ذلك، وإن امرأتي قد توفيت على أثره، وإن المصائب قد انهالت على رأسي من كل جانب، ولكني لم أنس ما قلته لأمك عند وفاتها فلقد قلت لها: اذهبي بسلام، فأنا أقوم لابنتك مقام الوالد وأدافع عنك إلى آخر نقطة من دمائي.

ليلي: شكرًا لك يا سيدي الحبيب.

سلمان: لا تشكريني، فإنني قد أقسمت على ذلك ... وأنت أيها الفتى الباسل اذهب وحارب وانتصر، وافعل كما فعلت أنا في شبابي، ولكن ما عدا الجريمة. واعلم أنني من يوم رأيتك قد عزمت على أن أرف ليلي إليك، وأن أجعلها سعيدة بقربك، ولكن اكنم هذا الأمر الآن، فإنني أخاف عليك من حماد فهو شرس الأخلاق غدار لا شيء أهون عليه من قتل البريء، فأبشر أيها الفتى فإنني أحبك وسأسعى لزواجك.

حسان: ولكن يا مولاي ...

سلمان: أترفض هذا الزواج؟

حسان: حاشا يا مولاي، كيف أرفض وأنت تعرض عليّ نعيم الجنان.

سلمان: إذن فاصنع كما قلت لك، وإياك أن تبوح بكلمة مما جرى بيننا الآن، وأنا في هذا المساء أسهّل لكما سبل الفرار، وأمنع حمادًا من أن يتعقبكما فتذهبان من هنا خفية وتقتربان في مكان بعيد. شمطاء (مختفية): أه يا خائن.

سلمان: ذلك ما أريد أن أصنعه قبل وفاتي عساني أن أخفف بهذا القران بينكما بعض ما بي من العذاب والحزن الشديد، إن الغرفة التي أقيم فيها لها باب خفي إلى خارج الحصن هو الباب الذي تخرجان منه الليلة سرًا، ويذهب معكما قائد حراسي ليدافع عنكما إذا أوجب الأمر، فانتظراني هنا قليلًا لأذهب وأحضر لكما مفتاح هذا الباب، يا رب سهل أعمالي وخفف بعض مصابي لسعادة سواي.

حسان:

أهي الحقيقة أم حديث يفترى
أهواه أم حلم على عيني طرا
ودعي فؤادي منه في سنة الكرى
تبدو وها أنا في النعيم بلا مرا
عني ولاح لي الجمال مصورًا
فلقد غدا نيل الفرار ميسرًا

يا ربّ ما هذا أحلم ما أرى
أفر مع ليلي وأحظى بالذي
إن كنت في حلم فخليني به
لكنما لا فالحقيقة عينها
إني أراك لديّ فالحلم انجلى
قد صرت لي يا من أنا لك فابشري

ليلي:

.....

ماذا تقول

حسان:

تمّ الفرار لنا كما قد قدّرا
ماذا يهم إذا هربت منكرا
أبقى وأرتكب الخطأ إلا كبيرا
وأطيع أمرك مثلما قد سطرا
أحد

أقول: لا تخشي فقد
لكن يميني قد حلفت وإنما
يا رب فاحكم بيننا أتريد أن
أم أن أفرّ من الجريمة هاربًا
هيا لنهرب لم يعد من دوننا

الجزء الخامس

(حماد - حسان - ليلي - عامر - قيس - قراد - سلمان - الملك متكرًا - جنود)

حماد:

... كذبت فإن دونك عسكريا

.....

ليلي: يا رب ... حماد ...

حماد: اقبضوا على هذا الرجل وهذه الفتاة.

حسان: أيها الأمير حماد أنا أعلم أنك نذل جبان غادر خائن مخلوع الفؤاد، وها أنا أريد الآن أن أظهر لهؤلاء الأمراء حولك أنك جبان سافل لا تقوى على مصادمة الرجال، فأعلم أنني أقوم في هذا الموقف مقام الأميرة ليلي، وأدافع عنها دفاع الأبطال؛ لأنها لا تريدك بعلاً لها، وهي تهواني أنا، فأنا أدعوك الآن للبراز أيها الأمير حماد بالسيف أو بالرمح أو بالخنجر أو بأي سلاح شئت، ونجعل ميداننا ضفة النهر حيث ينفسح مجال القتال، وهناك نرمي بالقتيل منا في تيار المياه فاخرج معي لنقتل أو أقتل، قفوا مكانكم جميعاً فإني أخطب الأمراء، واسمعوا أيها الأمراء إني أدعو الأمير حماداً من بينكم للبراز.

حماد: أفرغت الآن من كلامك؟ علم الله لقد تركته يتكلم كثيراً أيها الأمراء، والآن فاسمع ما أقول لك أيها الغلام: إني أسألك من أنت بين الأبطال، هل أنت ابن ملك؟ هل أنت ابن أمير؟ هل أنت ابن شيخ قبيلة على الأقل؛ لكي تقف موقف البراز مع الأمير حماد؟ قل لي ما هو اسمك فقط؛ إن كنت تعرف اسمك ألا تدري إنك ولد لقيط لا أصل لك ولا نسب؟ أخبرني من هو أبوك، ومن أية قبيلة

أنت؛ إن كنت ذا أصل وشرف؟ تأملوا أيها الأمراء لم يعد ينقصنا إلا مبارزة العبيد، فإذا كان فيكم من يأخذ بناصره ويدافع عنه، فأنا أمامكم كلكم فارس لفارس أو عشرة لفارس، ولكن عبدًا لقيطًا مثلك لا ينازله أمير مثلي، فاذهب وبارز الرعاة والغلمان.

حسان: أه يا نذل الرجال.

الملك: أيها الأمير إن لي من العمر تسعين عامًا أو تزيد، ولكني أبارزك الآن، أعطوني سيفًا.

حماد: حقًا لقد كان ينقصنا مضحك في هذه الوليمة وها قد حضر، من أين جاءنا هذا الشحاذ، وكيف انتقلت من العبد إلى الفقير؟ أنا أبارزك أيها الفقير فلا بأس، ولكن ألا تخبرني قبل ذلك من أنت؟

الملك: أنا الملك أبو قابوس بن ماء السماء.

عامر: أنت أبو قابوس؟

الملك: هذا خاتم الدولة فانظروه، نعم أنا أبو قابوس المنذر ملك العرب، وحامل سيف العدل، قضيت عشرين عامًا من حياتي بين المقابر والكهوف آكل من نبات الأرض، وأشرب من مطر السماء، وأندب ما سلف من أيامي وأسأل الله حسن الختام، وقد حسبني الناس ميتًا، وما أنا بميت ولكني كنت وحيدًا منقطعًا في زي الأموات حتى سمعت صوت بلادي يئن من الظلم والجور، وتدعوني إلى وقايتها وإسعافها، فخرجت من مكمني الذي كنت فيه، وها أنا واقف بين أيديكم. أعرفتُموني الآن؟

عامر: أرني زندق يا ملك العرب.

الملك: أتريد أن ترى أثر الضربة التي ضربني إياها واحد منكم؟ خذ وانظر ...

عامر: نعم، هو بعينه وأنا أقول هنا على رعوس الأشهاد: إن هذا هو أبو قابوس المنذر ملك العرب.

الملك: قد كنتم تسمعون صوتي أيها الفتيان أيام كانت حمائل سيفي ترف على جنبي، أما الآن فقد عرفتموني حق عرفاني، وعرفتم السيد العظيم الذي حكم عليكم زمانًا طويلًا، وقد جاء يحاكمكم اليوم، هذا هو الملك الكبير الذي دانت له الممالك، وخضعت له بلاد العجم واقفًا يكلمكم الآن، هذا هو الشيطان الأكبر الذي حارب رجالكم، وأخذ بلادكم وهدم معالم ظلمكم وعصيانكم، قد شفق على مصائب بلاده، وجاء يحاسبكم على ما جئتم من المنكرات، فقد حان أوان عذابكم وسأريكم كيف

يكون العقاب، إنني أقول لكم ذلك على مسمع من جنودكم، فإن هذه الجنود عساكري، وأنا أعتد عليها، وهي لي قبل أن تكون لكم؛ لأنها كانت للمجد قبل أن تكون للعار، وكانت تحارب تحت أمري بعزة وازدهاء قبل أن تحارب حولكم بخيانة وذل ... آه يا عصاة ويا قاطعي السبيل لقد حبيتم بموتي فموتوا الآن بحياتي فما قد عدت إليكم حيًا، فلا تحسبوا أنني ضيفكم بل أنا الملك الذي ينتقم منكم، لقد كانت آباؤكم جبابرة أبطالاً ينازلون أعداءهم نزال الأسود في ميدان القتال بلا خيانة ولا خداع، فما بالكم جئتم على أعقابكم كلابًا نابحة وعقبانًا خاطفة، وقاطعي طريق ورجال لصوصية وفساد؟ أف لكم أتقطعون السبيل على العابر المسكين، وتغدرون المارة غدراً وضرباً من وراء الظهور، وتحسبون أن هذا هو المجد العربي، وهذا هو الفخر الصحيح؟ أترون بلادكم ساقطة بلا رئيس ولا عضد ثم تظلمونها وتجورون من كل مكان ...؟ إنكم مجرمون تستحقون العقاب الشديد على أعمالكم، فتقدموا أيها الجنود وضعوا في أرجلهم الأغلال والقيود.

عامر: هذا هو بعينه قد عاد حيًا ... ضاعفوا الحرس ... أغلقوا الأبواب ... أوقفوا الجنود في مراكزها ... سلحوا الرجال ... أرسلوا العساكر إلى الغابة تقطع لها حطبًا كثيرًا، وأشعلوا نارًا عظيمة لإحراق هذا الملك العظيم، لقد سلم نفسه بيده، وقد أخذناه في فخه:

وأين العلا والعز والمجد والفخر	لقد عدت لكن أين عسكري المجر
فيهتز من أصواتها السهل والوعر	وأين طبول كنت تقرعها هنا
لها الطوع فيما تشتهي ولك الأمر	وأين صناديد حوليك جمة
فترجع عنا، وهي من دمنا حمر	وأين الخيول الدهم تجلبها لنا
أطاعك فيما قد مضى الفتح والنصر	عرفتك أنت السيد الملك الذي
وأقلعت عنها، وهي موحشة قفر	وأنت الذي دست البلاد عوامرًا
وأنت خطيب المجد والبطل الحر	وأنت الذي دان لك الأسد في الوغى
أتعرفنا من نحن أم فاتك الذكر	عرفنا أبا قابوس قدمًا، وإنما

لقد سمعتك تخاطب هؤلاء الجند، وتقول: إنهم جنودك قبل أن يكونوا جنود العار، ولكن هل رأيت أحدًا منهم تحرّك من مكانه وجاء إليك، إذن فأعلم أنهم جنود أبي لا جنودك، وأنهم للأمير سلمان قبل أن يكونوا لأبائهم، إن الضيف محرّم علينا أيها الملك، وأنت قد قلت الآن: إنك لم تعد ضيفًا فأنت إذن عدو، انظر إلى هذا الشيخ الكبير إنه أبي الأمير سلمان، وهو الذي كوى زندك في المعركة، وجعل لك تلك العلامة التي عرفناك بها أكثر مما نعرفك بتاج الملك، وأنت تعلم أن الحقد بينكما شديد قديم، وأنت قد وضعت لرأسه ثمنًا، وقد وضع لرأسك ثمنًا كذلك، وها قد وقعت الآن في أيدينا وحيدًا شريدًا تحيطك أمراء أبطال وجنود بوسائل، فماذا تصنع بنفسك أيها التعس الشقي.

حماد: أرجع لنا بلادنا أيها الملك، فقد أخذتها منا اغتصابًا.

قيس: رد إلينا دماء رجالنا فقد سفكتها عدوانًا وظلمًا.

قراد: أرجع لنا أصحابنا الأبطال، فقد قتلتهم جورًا وجبرًا.

عامر: لقد خرجت اليوم من قبرك أيها الملك، وإني لأرجعك إليه في الحال حتى لا يقال أبو قابوس حي، فيجاوبها الصدى قد مات، فميت أيها الأحمق جزاء ما جنت يداك.

سلمان: أبيت اللعن يا مولاي إن ابني عامرًا قد صدق في قوله: إنك عدوي الألد، وأنا الذي تجاسرت ورفعت يدي على جلالتك فيما مضى من الزمان؛ لأنني أكرهك وأريد قتلك، ولكني مع ذلك أريد أن تكون بلاد العرب سالمة من الدمار، وأن أرى بلادي ناهضة من سقطتها وخمولها الطويل، وأنت وحدك قادر على إنقاذها وإصلاحها، فخلص بلادك. أما أنا فأركع الآن طائعا على قدميك، وأشكر الله الذي ردَّ إليَّ سيدي ومليكي ... اركعوا كلكم معي، وارموا سيوفكم إلى الأرض، أبيت اللعن إن وجودك واجب لقبائل العرب الساقطة، وأنت وحدك تجمعها ولا أحد سواك يقدر على إنقاذها، وإنه لا يزال في بلاد العرب اثنان بحمد الله، أنا وأنت، وأنا وأنت نكفي فاحكم علينا يا مولاي، أما هؤلاء فقد تمادوا في كلامهم معك، ولكنهم لا يزالون صغارًا فاعف عنهم بحلمك، لقد حاربناك يا مولاي كثيرًا ونوينا لك الشر والقتل، وحاربتنا أنت كذلك، ولكننا كنا مخطئين وأنت وحدك المصيب العاقل، أطلقوا سراح الأسرى والآن تقدموا وضعوا القيود في أرجل الأمراء، مدوا أيديكم للقيود، فهكذا يريد الملك، وضعوا القيد في رجلي أولًا:

أيتها السيد الرفيع البناء	قد غدونا كما تشاء أسارى
ن الشريد الشهير في الأحياء	وغدا في القيود عندك سلما
فبحقَّ قيدت مع هؤلاء	لست أرجو منك انفكاكًا لقيدي
ك لنغدو معًا على الأعداء	غير أنني أهوى المسير وإيا
لقتال العدى وسفك الدماء	خلنا في القيود ثممت خذنا
قى المنايا في الغارة الشعواء	وأقمنا في أول الصف كي نلـ
قلبها مثل سيفها في المضاء	وعسى أن نريك منا جنودًا
بقتال العدى من الأمراء	ثم نبقى أسرى لديك ونغدو

ضابط:

... ..

أمر مولاي، أمر مولاي ...

الملك:

— ن جميعًا خذهم بلا إبطاء
.....

... .. للسج—
أغصوب

سلمان:

.....

ويلاه

الملك:

حيث تمضي للندب كل مساء

... رح وانتظري

الفصل الرابع

الجزء الأول

سلمان:

كيف المليك أتى، وماذا قالوا
قد حار فكري فيه حتى ما درى
ويلاه قد كثرت عليّ مصائبى
نوبّ تمرّ، وهي جديدة
لم يبق مما مرّ بي شيء سوى
أضحى أبو قابوس حاكم منزلي
لكنما ماذا بهمّ، فإنني
أحييت أوطاني بتسليمي له
هذا أبو قابوس، وهو ألدّ أعـ
خصمان معتركان يقتل عسكري
فني الزمان، وليس فيه غيرنا
قرب السقوط لواحد منا وها
غلبتني الأقدار لكن بعد ما
فقل: السلام على انتصاري إنه
وعلى حروبي والمعارك والعلا
ضربت بي المثل الأعراب في الوغى
ويقال: قد سقط العزيز من الذرى
ماذا أسلمان الشريد يذل هل
كلا لتخزي كبرياؤك أنت يا
فاخفض جبينك إن تزد قبر الـ
في ذا المكان قتلته في ليلة
ويلاه من جرم تقادم عهده

أرأيت شخصاً أم رأيت خيالاً؟
أتبعته حقاً أم اتبعته ضلالاً
وتجمعت فغدت عليّ تقالاً
مع إن عهد حدوثها قد طالاً
أني أسيرٌ أحمل الأغلالاً
وغدوت مغلول اليدين مذالاً
أنقذت فيه الأهل والأطلالاً
فغدا عليها قائلاً فعالاً
ـدائي، وأكثرهم عليّ وبالاً
حيئاً، وأقتل عنده الأبطالاً
باقٍ، وكل خليطنا قد زالاً
هو قائمٌ يرمي لأسقط حالاً
عانت عليّ معاركاً وقتالاً
ولى ومجدي إنه قد حالاً
والعز أدركه الزمان فمالاً
وغدت بذلي تضرب الأمثالاً
وغدا على غدر الزمان مثالاً
متلي يصادف في الورى إذلالاً
من كنت قبلاً مجرمًا قتالاً
ـذي فاجأته وقتلته محتالاً
وهنا جرى دمه الزكي وسالاً
فغدا يجدد في الحشا الأوجالاً

جرم فظيع قد ندمت عليه لو
سبعون عامًا أو تزيد قضيتها
أرجو السماح عن الذنوب ندامةً
وكفاك تبكيت الضمير فقد غدا
والناس تحسبني شريفًا ماجدًا
أزياد مع حسناء عفواً عن أخي
كثرت مصائبه وأثقلها الأسي
سقطت حصوني واغتدى ابني عاجزاً
وابني الصغير فقدته ومصائب الـ
وبحثت عن ليلي وحسان فلم
فالموت أولى فلأمت من خنجري
أزياد عفواً عن غصوب فقد بدا
فأنا غصوب ولست سلماناً فدع

تغني الندامة فاتكاً قتالا
أبكي وأضرع للإله تعالى
فأزيدها بندامتي أثقالا
طي الفؤاد عقارباً وصلالا
مثل العطاش تظن ماءً آلا
جرم بكى الأيام والأحوالا
فغدت على عدد الرمال جبالا
وبنوه زادوني جوى ونكالا
أطفال فينا لم تكن أطفالا
أبصرهما ومصائبني تتوالى
فلقد غدا موتي لديّ حلالا
حدّ السلاح ب صدره يتلالا
للغفو عن ذنب الغصوب مجالا

الجزء الثاني

(سلمان - شمطاء)

شمطاء: قابيل.

سلمان: يخيل لي أنني سمعت صوتاً، وأظن أن ذلك رجع الصدى بل صوت سكان القبور، فإن هذه الحجرة العميقة لا يدخلها أحد غيري، وقد مات من كان يعلم سرها من سنين، فأصبح لا يعلم بها أحد سواي، يا زياد الشهيد البريء مرحمةً و عفواً عن غصوب.

شمطاء: قابيل.

سلمان: لم يعد ريب فيما سمعته فقد سمعت صوتاً يتكلم، فأنت أيها الخيال المتكلم كائنًا من كنت اضرب وخلصني من حياتي، فقد سئمت الحياة، اضرب فإنه خيرٌ لي أن أموت من أن أسمع هذا الصدى الهائل الذي يردد كل كلمة من كلامي فيزيد ألامي.

شمطاء: قابيل. قابيل. قابيل ...

سلمان: ويلاه، لم أعد أقدر أن أقف، أفي يقظة أنا أم في منام، وهل ما أسمع حقيقته أم أضغاث

أحلام؟ يا رب إن أحزاني قد استحالت إلى جنون، ولا شك أن ما أسمعُه هو حلم هائل، نعم هو حلم يتبعني كيف سرت، ويزيدني اضطرابًا ورعبًا في هذا المكان المخيف. أنت أيها الصوت المرهب الخارج من القبور، ها أنا أمامك، قل ماذا تريد أن تعلم مني؟ واسألني؟ فإني أحبيك عن كل ما تريد.

شمطاء (تدخل): أريد أن أقول لك ما قاله الله لقابيل قاتل قابيل، ماذا فعلت بأخيك؟

سلمان: من هذه المرأة...؟

شمطاء: هي فوق الأرض أسيرة، وهنا ملكها، أنت تعلم أيها الأمير أن هذا الحصن كثير المداخل والكهوف، وأن تحت قاعاته الواسعة غرفًا كثيرة مظلمة، والآن فاعلم أن كل ما تتبره الشمس هو لك وفي سلطتك، وكل ما يخفيه الظلام هو ملكي وتحت سلطاني، وها أنا قد قبضت عليك ولم يعد لك من خلاص.

سلمان: مَنْ أَنْتِ أيتها المرأة؟

شمطاء: اسمع قبل ذلك لأقص عليك حكاية هائلة جرت منذ سبعين عامًا: انظر إلى هذه الغرفة، وإلى أشعة القمر الساطعة فيها، في مثل هذه الليلة، وفي هذا المكان نفسه كان اثنان عاشقان يشكوان سر الهوى على نور القمر، وإذا برجل قاتل خرج عليهما والسيوف في يده.

سلمان: رحماك، كفى بالله...

شمطاء: أتعرف هذه الحكاية؟ إذن فاعلم أن المكان الذي سقط فيه زياد طعيماً هو هذا، واليد التي طعنته هي هذه.

سلمان: اطعيني أنت أيضاً، ولكن اسكتي.

شمطاء: وبعد أن سقط زياد قتيلاً أخذوه ورموه من هذه النافذة بعد أن كسروا حديدتها بيد شديدة، واليد التي كسرت الحديد هي هذه أيها الأمير.

سلمان: بالله عفواً أو سماحاً.

شمطاء: لقد كانت العاشقة الحزينة التكلّي تطلب منك العفو والسماح أيضاً في ذلك الحين، وهي أنا، ولكنك سخرت بي هازئاً وأخذتني فربطتني هنا، ثم أخذت القيد بنفسك ووضعتة في هذه الرجل بلا رحمة ولا شفقة.

سلمان: حسناء..

شمطاء: نعم لقد كنت في ذلك الحين حسناء، وأما الآن فقد غيرتني السنون والأيام، وصارت تلك الفتاة الجميلة تدعى اليوم شمطاء ... إنك ستموت أيها الأمير.

سلمان: يا رب شكرًا فهذا الذي أريد.

شمطاء: ولكن اصبر قبل أن تشكر الله، واعلم أن ابنك الذي خطفوه منك لا يزال حيًّا.

سلمان: ماذا تقولين ...؟

شمطاء: وأنا الذي خطفته منك.

سلمان: أين هو بالله؟

شمطاء: وكان هذا العقد في عنقه.

سلمان: رحمةً و عفوًا إني أقبل قدميك فدعيني أنظر إليه نظرة واحدة.

شمطاء: إنك تنتظره قريبًا، فهو الذي سيقنالك في هذا المكان.

سلمان: ويحك! ماذا فعلت بابني هل جعله حقدك وانتقامك وحشًا كاسرًا يتجاسر على قتل أبيه؟

شمطاء: إن ابنك هو الفارس حسان.

سلمان: تبارك الله، كذلك كنت أرجو أن يكون، إنه شريف نبيل لا دناءة في أخلاقه فباطلًا تعتمدين عليه في قتلي، وإن أمالك ستذهب أدراج الرياح.

شمطاء: اسمع أيها الأمير لقد كنت تمشي في النور وأنا أدب وأسعى في الظلام، حتى وصلت إليك على مهل وسكون من غير أن تشعر مني بشيء، فاستيقظ الآن من غفلتك يا غصوب فقد وقعت في الشرك الذي نصبته لك، واعلم أنك بينما كنت واقفًا مع الملك والأمراء ذهبت أنا إلى مخدع ليلي سرًّا، وسقيتها شرابًا شديدًا جعل على وجهها هيئة الأموات، التفت الآن وانظر (تريه تابوتًا).

سلمان: ويلاه تابوت، يا رب ليلي ... لقد قتلتها يا كافرة.

شمطاء: إنها لم تمت بعد، وأنا معتادة مثل هذه الأمور، فهي مائتة لدى كل من يراها، ولكنها نائمة عندي، وإن شئت فعلت بها ما أريد.

سلمان: وماذا تطلبين لكي توقظيها؟

شمطاء: اطلب موتك، وقد أخبرت حسناً بالأمر، وهو الذي يختار بين حياتها أو مماتها، فليختر بين الأمرين، إذا شئت أن تهرب فاهرب، فأنا لا أمسكك، ولكن حسناً وليلى يموتان، وهما في قبضة يدي.

سلمان: ويلاه، ويلاه ...

شمطاء: اترك حسناً يقتلك، مت وليلى تحيا.

سلمان: اسمعي، إنني ألتمس منك التماساً، إن الموت هين عليّ فخذي حياتي كما تشائين، ولكن لا تدعي ولدي البريء الطاهر يرتكب هذه الجريمة الشنعاء، رحمة بالله فإنني قد بكيت كثيراً وبكنتي ضميري تبكيّاً شديداً وذلك جزاء القاتلين، فاقتليني أنا وحدي واراضي بقتيل واحد، فإنني أستحق أشد العقاب، ولكن اعفي عن ولدي بالله أتريدين أن يدخل إلى هنا بريئاً شريفاً، ويخرج بالخزي والعار بعد قتل أبيه، قد كفاك أنك أخذته مني وحملتني من فقدته الحزن والعذاب كل هذه الأيام، فلا تزيد عليّ هذا الهوان، إنه قد صار ولدك مثل ما هو ولدي، فاشفقي عليّ من هذا الجرم الشديد فقد كفاني شدة وعذاباً، عاقبيني على ذنبي لك، ولكن لا تتجاوزي مقدار ذنبي في هذا العقاب، لا تكوني أقسى مني إذا كان لك قلب يرحم.

شمطاء: إنني لم يعد لي قلب فقد نزعته مني يا قاتل.

سلمان: إذن أموت هنا كما تشائين، ولكن ليس من يده.

شمطاء: إن الأخ هنا قتل أخاه، فهنا الولد يقتل أباه.

سلمان: ارحميني واشفقي عليّ، اقتليني أنت استحلفك بالله.

شمطاء: آه يا ظالم، لقد كنت ألتمس منك أكثر من هذا الالتماس عندما قتلت حبيبي، لقد كنت راکعة على قدميك أقرع صدري بيدي، وأسألك الرحمة والعفو عنه، وأقول لك: ارحم شبابه وشبابي، ولكنك صممت أذنك عن كلامي وقتلت زياداً حبيبي ورميته من هذه النافذة غير مشفق ولا راحم ورفستني برجلك، وقلت لي: خذي ثارك إذا كنت تقدرين، وها أنا الآن آخذ ثاري.

سلمان: إن ابني لم يسيء إليك بشيء فارحميه وارحميني، اعذريني بالله فقد كنت أهواك، وكنت غيوراً عليك.

شمطاء: اسكت يا خائن، اسمعي أيتها السماء إنه لا يزال يتجاسر على ذكر الغرام هذا الأثيم القاتل، ولقد كنت أحب أنا أيضًا أيها الغادر فرد لي حبيبي إذا كنت تقدر، رد لي حبيبي يا قاتل أخيك.

سلمان: أيعرف حسان أنه سيقتل أباه.

شمطاء: لا، بل هو سيفتلك من غير أن يعرفك؛ لكي يخلص ليلي من الموت.

سلمان: حسان ولدي ... ما هذه الليلة الهائلة ...

شمطاء: إنه سيدخل عليك الآن كما يدخل الجراد لقطع رأس المجرم، وهذا جلّ ما يعرفه عنك، فخذ هذا القناع وضعه عليك ومت مقتنًا ساكنًا، ولا تنطق بحرف فقد رضيت بذلك، إنني أسمع وقع أقدام وها هو قادم فأنا سأتركك وأدخل، ولكن اعلم أنني سأسمع كل شيء وأن ليلي لا تزال في قبضة يدي (تدخل).

سلمان: اللهم لطفك ...

الجزء الثالث

(سلمان - حسان)

حسان: إلى أين جئت بي؟ ما هذا المكان الهائل؟ ويلاه قد ذهب وبقيت وحدي، يا رب أين أنا؟ أهنا مكان القتل؟ لقد بدأت أرجف وأضطرب، ما هذا الخيال الذي أراه؟ يا رب من هذا؟ ويلاه ما أصعب الجريمة والقتل! أهنا تُسفك الدماء؟ أهذا هو القتل؟ يا غصوب التعيس المذنب، هل هذا أنت؟ أجبني، إنه لا ينطق بحرف فهذا هو بعينه. أنت أيها الشخص الراكع أمامي كائنًا من كنت تكلم، أجبني، عفواً وسماحاً إذا قتلتك، فإن حبيبي ليلي نائمة نومة الموت في هذا المكان ولا تفيق من نومها إلا بقتلك، فاعذرني واشفق عليّ أيها الشيخ المسكين الشقي، كلمني وقل: إنك تغفر لي جرمي وذنبي، كلمة عفو واحدة أيها الشيخ، وشفق على قلبي الذائب.

سلمان: حسان ولدي تعال إليّ.

حسان: مولاي سلمان ...

سلمان: لا، لم أعد أقدر أن أسكت وقد كفاني عذابًا، لا أقدر أن أموت قبل أن أعانقه، تعال إلي صدري، دعني أقبلك وأنظر إليك، فإنني لا أصدق إنني أراك، وهذه أول مرة رأيتك فيها مع أني

أبصرك كل يوم، دعني أقبل جبينك وأناملك كما أريد، لقد كنت تتكلم الآن يا بني، وأنا ساكت، ولكن كلامك كان شديدًا مؤثرًا حتى لم أقدر أن أسمع وأسكت، انظر يا بني إنك تجد سيفي وآلة جلادي معلقة في حجرتي، فخذها كلها فقد وهبتك إياها، وكن بطلًا عظيمًا فأنا أباركك وأدعو لك، اللهم باركه برحمتك، واجعل أيامه طويلة مثل أيامي، ولكن بغير جرائم ولا ذنوب.

حسان: مولاي ...

سلمان: اللهم إني أبارك هذا الشاب في كل ما فعل، وفي كل ما يفعل الآن فاسمع لي يا بني، إني قد فقدت كل شيء وذهب ملكي ضياعًا، وأصبح أبنائي أسرى، وذلك لكي أخلص بلادي من الذل والاستعباد، فلم يبقَ إلا أن أقتل نفسي وأستريح، ولكن يدي ضعيفة ترتجف ولا تقدر فساعدني على قتلي فمن يدك أنتظر هذه الخدمة الكبرى.

حسان: أمن يدي أنا؟ ولكن ألا تعلم أنني أبحث هنا عن رجل؟

سلمان: إنك تبحث عن غصوب وهو أنا.

حسان: ويلاه ماذا أرى وماذا أسمع؟ أنت يا مولاي، أنت الشيخ الجليل الذي أعتبرك وأحبك، ويلاه، هو بعينه يا رب رحمتك ولطفك، إنه سلمان الكبير سيدي ومولاي، أبدًا لا أرفع يدي عليك أيها الأمير الجليل وحاشا لله أن أقتلك.

سلمان: اسمع يا حسان، إن قبيري قد انفتح وأنا مجرم مذنب، وهذه حبيبتك ميتة لا محالة إذا أنت لم تقتلني فاضرب وخلصها. اقتل الشيطان العاتي وخلص الملك الجميل، خالص حبيبتك من الموت، أنقذها يا بني وأسرع.

حسان: أتموت أنت لكي أخلصها ...؟

سلمان: ويحك وهل تتردد ...؟ أترى من جهة شيخًا عاجزًا بيضت شعره السنون، كما سودت وجهه الذنوب والآثام، وترى من جهة فتاةً بريئةً طاهرةً جميلةً تدعوك وتصرخ إليك، ثم تتوقف بينهما وترتاب، ألا تزال تتردد، أتحار بين قتل المجرم وحياة البريء، إن مماتي خلاص لي وخلص لها، فاضرب وخلصنا كلينا، فإنك بضربة واحدة تخلص نفسي، اضرب ولا تتوقف.

حسان: ويلاه ...

سلمان: اضرب يا بني وأسرع فإنك تتقذني من حياتي، خذ وعجل وخلصني من الذنوب وتبكيك الضمير.

حسان: هات الخنجر ...

سلمان: ما بالك تتوقف؟

حسان: لقد خطر لي فكر هائل، لقد قلت لي اليوم: إنه كان لك ولد ثم خطفوه منك وهو صغير، وأنا قد خطفت من أهلي صغيراً وربتني امرأة غريبة، أفلا يمكن أن أكون أنا ذلك الولد؟ ألا يمكن أن تكون أبي؟

سلمان: ويلاه، إن الخوف قد أضاع صوابي يا حسان، فأنت لست بابني.

حسان: لكنك كنت أحياناً تقول لي: يا ولدي.

سلمان: ذلك لأنني أحبك كثيراً؛ ولأن هذه الكلمة معروفة يقولها الجميع.

حسان: إنني أشعر بشيء في قلبي.

سلمان: لا تصدق ...

حسان: مولاي ... مولاي، أشفق عليّ، ألا يمكن أن أكون ابنك؟

سلمان: بالله لا تذهب بك الظنون إلى هذا الحد، فإن ابني الذي خُطف مني قد قُتل ولا أمل لحياته، وقد أخبرتك بذلك اليوم.

حسان: لا ...

سلمان: تذكر فقد قلت لك: إنهم قتلوه انتقاماً مني فأنت لست بولدي، ولو لم أكن على ثقة من أنهم قتلوه، وأنهم أحضروا إليّ جثته في حينها لكنت أشك مثلك وأظنُّ إنك ولدي، ولكن ذلك مستحيل، فإن ابني قد مات؛ إذن فكن على ثقة مما أقوله لك يا ولدي، انظر إنني لا أزال أقول لك: يا ولدي؛ لأنها كلمة قد تعودتها، وهي التي يقولها الشيوخ للفتيان في كل حين، كن على ثقة واضربني فإني لست أباك ويا حبذا لو كان لي ولد مثلك، تقدم يا حسان واضرب، وكن آمناً مما تفعل فإنك لست ولدي ولا أنا بأبيك.

(لقد أصبحت ليلي على شفا الموت، ولا يمكن أن تنتظر أكثر من ربع ساعة.)

حسان: ليلي ...

سلمان: ويحك، أتريد أن تقتلها؟

حسان: يا رب، ماذا أصنع؟ ويلاه قد ضاع رشادي في هذا المكان المخيف.

سلمان: اضرب وكفى تردد.

حسان: بالله لا تدفعني لهذا العمل، اصبر وأشفق عليّ، فإنني لا أكاد أمسك نفسي وأحسب أنني سأرتكب جرماً فظيماً هائلاً فتمهل ولا تشدد عليّ.

سلمان: إذن فاضرب، فأنت تعاقب مذنباً وتخلص بريئاً طاهراً.

حسان: ألا تدري أنني أكاد أرتكب القتل؟ وأن صوابي قد ضاع مني، فأنا الآن بلا عقل.

سلمان: لقد حان لي أن أموت يا حسان، إن أخي قد سألني الرحمة كثيراً في هذا المكان فقتلته، ولم أعف عنه، فكن أنت مثلي الآن، كن آلة العدل المنتقمة، كما كنت أنا آلة الجريمة والظلم، انظر أي وحش صار أمامك واعلم أنني قتلت هنا رجلاً بريئاً، وأني طعنته بيدي غير شفيق ولا رحيم، إن القتل البريء هو أخي.

الجزء الرابع

(سلمان - حسان - الملك - ثم شمطاء وليلى)

الملك: هو أنا.

سلمان: هو أنت...؟

حسان: الملك...؟

الملك: نعم، فأنا الذي أرسلني أبي إليك ثم ضربتني بخنجرك، وألقتني من هذه النافذة، وأنت تقول لي: اذهب غير مأسوف عليك، ولكن الله خلصني فلم أمت (تدخل شمطاء)، وكانت نجاتي على أيدي جماعة من الرعاة أخذوني وأنقذوني من الهلاك، ثم سعيت بشجاعتي وإقدامي فصرت ملكاً، ولقبوني بأبي قابوس؛ ولذلك خفي عنك أمري، ولم تعلم أن أخاك لا يزال في قيد الحياة وأنقذوني.

سلمان: ها أنا راعع بين يديك فعاقبني وخذ بثأرك.

الملك: انهض يا أخي وعانقتي، فأنا أسامحك وأعفو عنك.

شمطاء: لقد زال الحق ومات الانتقام، وقد عاد حبيبي زياد حيّاً، فلم يعد لي ثار ولا طلب خذوا كل

ما أخذته منكم في أيام كرهى وغضبى، فخذ أنت حسان ابنك، وخذ أنت يا حسان ليلى عروسك.

حسان: ليلى ... أبى ...

ليلى: حبيبي ... مولاي ...

سلمان: يا رب حمدًا وشكرًا.

شمطاء: أما أنا فقد حان مماتي ... يا قبر خذني إليك.

الملك: ماذا تصنعين ...؟

شمطاء: قد أقسمت أن لا أخرج هذا التابوت فارغًا، فدعني بالله.

الملك: ولماذا تموتين ...؟

شمطاء: تأمل بي يا زياد إنني أموت مسرورة بلقياك، فأنا حبيبتك حسناء.

الملك: حسناء ... أنت هنا ... أنت؟!!

شمطاء: نعم، لا أزال حية، وقد كنت أخذ ثارك.

الملك: إذن فاعفي عن نفسك الآن، كما عفوت أنا عن عدوي إذا كانت أيام الحب قد زالت فقد عاد الحبيب، ولم يعد على الدنيا عتب أو ملام، فلنعد كما كنا سعداء ولنقض باقي أيامنا في سلام، أما أنت يا سلمان فعد إلى إمارتك، وأنا عائد لتدبير أحوال البلاد:

كنتم وسيروا سيرة تصفو
ظلم، وأن ينقطع العسفُ
أعفو كما يقضي به العرفُ
ونال قلبي ما له يهفو
.....

قد تمَّ ما أبغي فعودوا كما
أردت قبل الموت أن أمنع الـ
وأن أرى وجه شقيقي، وأن
وقد بلغت الآن ما أشتهي
طوبى لمن بارك أعداءه

سلمان:

طوبى لمن يقدر أن يعفو

.....

جدول المحتويات

أسماء الأشخاص

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع